



ヤ ヲリコチIテ
ミリ 中コ “
コト 珠コ ルケダミリ

الصدقة بين أرسطو والغزالي

موافقات ومفارقات

إعداد الدكتور

محمد السيد عبد المنصف الوزير

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى معالجة مسألة الصداقة لدى أرسطو وأبي حامد الغزالي والمقارنة بين رؤيتهما للكشف عن مظاهر الأصالة والتقليد في هذه المسألة. وقد خلص البحث إلى وجود اتفاق بينهما في أمور واختلاف في أخرى، حيث تبين اتفاقهما على أهمية الصداقة للفرد من حيث حاجته إليها في التناسح والتعاون مع غيره من الأصدقاء، كما اتضح تأثر أبي حامد الغزالي بأرسطو في تصنيفه للصداقة لاسيما صداقة المنفعة، والتي عبر عنها الغزالي بـ (محببة المنفعة)، بينما بدا الاختلاف بينهما جلياً في اختيار مسمى العلاقة، حيث اختار أرسطو التعبير عنها (بالصداقة)، واختار الغزالي التعبير عنها (بالصحبة) اقتداءً بما جاء عنها في القرآن والسنة.

كما اتضح اختلاف أرسطو والغزالي في تحديدهما لماهية الصداقة حيث كان الغزالي واقعياً في تعريفه للصحبة بأنها المخالطة والمجالسة والمجاورة، وتقاربت رؤيتهما في وضعهما للصداقة شروطاً، إلا أن نظرة أرسطو لشروط الصداقة اتسمت بالعقلانية، لكن لم تتسم بالواقعية في بعض الشروط لاسيما شرط المساواة والتكافؤ بين الأصدقاء في الثروة والوضع الاجتماعي، بينما كانت شروط الصحبة عند الغزالي واقعية فيها الكثير من السمو الأخلاقي والروحي وانفرد الغزالي بوضعه لحقوق الصحبة عقداً يشتمل على ثمانية حقوق مستمدة من القرآن والسنة وآثار السلف الصالح الأمر الذي أضفى على رؤيته نزعة روحية اتسمت بالأصالة والجديّة.



ABSTRACT

This research aims to address the friendship issue between Aristotle and Abu Hamid alGhazali and compare their visions to reveal the aspects of originality and imitation in this matter.

The study concluded that there is an agreement between them on matters and differences in others. The two agreed on the importance of friendship to the individual in terms of his need for consultation and cooperation with other friends. He also showed that Hamed alGhazali was influenced by Aristotle in his classification of friendship, Ghazali b (the love of utility), while the difference between them was evident in the choice of the name of the relationship, where Aristotle chose to express (friendship), and chose Ghazali expression (accompanied) followed by what was stated in the quran and Sunnah.

The difference between Aristotle and alGhazali is also evident in their definition of what friendship is. AlGhazali was realistic in his definition of the society as being connected, neighboring and neighboring.

Their view of the conditions of friendship was similar, but Aristotle's view of the conditions of friendship was rational, but it was not realistic in certain conditions, especially the condition of equality and equality between friends in wealth and social status, while the conditions of companionship at alGhazali were realistic

AlGhazali is the only one who has established the rights of companionship, which includes eight rights derived from the Quran and Sunnah and the effects of the righteous salaf, which added to his vision a spiritual tendency characterized by originality and seriousness.



المقدمة

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

لاشك أن الأخلاق هي الركن الركين في بناء أي مجتمع من المجتمعات. فعن طريقها ترقى النفوس وتسمو إلى درجات الكمال، ولاشك أن الأخلاق الاجتماعية بالذات لها تأثير كبير في تماسك المجتمع وتربطه، فهي تساهم بشكل قوي في تحديد أسلوب التفاعل الاجتماعي الإيجابي بين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض، ومن هذه الأخلاق المجتمعية المهمة (الصدقة)، فهي قيمة إنسانية أخلاقية بالغة الأهمية للفرد والمجتمع، حيث إنها إحدى المقاييس الاجتماعية التي تبين مدى تفاعل الإنسان مع غيره من أفراد المجتمع.

ولتأثيرها وأهميتها حظيت الصداقة على مدى العصور المختلفة باهتمام كبير من المفكرين وعلماء النفس والفلاسفة، وكان من أهم الفلاسفة الذين قدموا تصوراً واقعياً للصداقة وما يتعلق بها، الفيلسوف اليوناني (أرسطو)، كما كان لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي باع طويل وفكر أصيل مستمد من القرآن والسنة في الحديث عن الصحبة (الصدقة) وكتابه إحياء علوم الدين شاهداً على ذلك.

لذا كان من الضروري الاطلاع على رؤية كل منهما في هذه المسألة للوقوف على أوجه التقارب والتباعد بين الفلسفة اليونانية والفكر الإسلامي من خلال هذين النموذجين (أرسطو والغزالي) اللذين كانا لهما تأثيرهما في جوانب كثيرة في الفلسفة الأخلاقية والاجتماعية.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

دفعني إلى اختيار هذا الموضوع للكتابة فيه عدة أسباب ومن أهمها:

١- قلة التصانيف والتأليف في موضوع الصداقة في الفلسفة اليونانية والفكر

الإسلامي، لاسيما عند كل من أرسطو والغزالي.

- ٢- أهمية الصداقة للفرد والمجتمع، باعتبارها من القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تلبي حاجةً نفسيةً وفطريةً لدى الفرد، وهي الميل إلى تكوين علاقات اجتماعية مع غيره من بني جنسه، باعتبار أنه كائن مدني بطبعه، كما أن لها أثراً في ترابط المجتمع وقوة تماسكه. إذا ما كانت صداقة حقة.
- ٣- الوقوف على رؤية اثنين من أبرز فلاسفة اليونان والمسلمين، لبيان مدى الأصالة والتقليد في جانب من جوانب الفلسفة الأخلاقية.

إشكالية البحث:

بمشيئة الله تعالى سيجاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ١- ما مفهوم الصداقة عند أرسطو؟ وما مدى أهميتها لديه؟ وما هي شروطها وأنواعها ومعوقاتها عنده؟.
- ٢- ما مفهوم الصحبة عند الغزالي؟ وهل يتطابق مصطلح الصحبة مع مصطلح الصداقة في نظره؟ وما هي الشروط التي وضعها لهذا الأمر، وما أقسامها؟ وهل للصحبة حقوقٌ في رأيه؟.
- ٣- ما هي أوجه التلاقي والتباعد بين كل من أرسطو والغزالي للصداقة؟.

الدراسات السابقة:

على الرغم من تناول بعض فلاسفة اليونان لمسألة الصداقة في كتبهم كأفلاطون مثلاً في الجمهورية، وكذا تقديم بعض فلاسفة ومفكري المسلمين لبعض الأفكار والتصورات عن هذه المسألة كإخوان الصفاء في رسائلهم المسماة بـ (رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء)، وأبي حيان التوحيدي الذي أفرد للصداقة كتاباً سماه بـ (الصداقة والصدق).

إلا أنني لم أجد فيما وقع تحت يدي من المؤلفات كتاباً أو مؤلفاً تحدث عن

الصداقة بين أرسطو والغزالي، مما يشير إلى ندرة الأبحاث في هذه المسألة.

منهجية البحث:

أما عن المنهجية المتبعة في هذا البحث فكانت مرتكزة على المحاور التالية:

- 1- تتبع أقوال كل من أرسطو والغزالي عن الصداقة من خلال الرجوع إلى مصادرهم الأصلية التي تحدثت عن هذا الأمر لاسيما كتاب (علم الأخلاق إلى نيقوماخوس) لأرسطو، وكتاب (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي.
- 2- شرح وتحليل هذه الأقوال لكلا الفيلسوفين للكشف عما تحويه من أفكار وتصورات عن الصداقة.
- 3- المقارنة بين رؤيتهما للوقوف على نقاط الاتفاق والاختلاف، ومعرفة إيجابيات وسلبيات كل رؤية، مع توجيه النقد ما أمكن للسلبيات.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث الاستناد والاعتماد على المناهج التالية:

- 1- المنهج الاستقرائي واستخدمت به لاستقراء وجمع أقوال كلا الفيلسوفين في مسألة الصداقة من خلال كتبهما الأصلية.
- 2- المنهج التحليلي النقدي واستخدمته لتحليل رؤية كل من أرسطو والغزالي للكشف عن تفاصيل أفكارهما المتعلقة بموضوع البحث، ولتوجيه النقد بموضوعية، وبعيداً عن أي تحيز لبعض هذه الأفكار.
- 3- المنهج المقارن: اعتمدت عليه للمقابلة والمقارنة بين رؤيتي أرسطو والغزالي في مسألة الصداقة للوقوف على مظاهر الأصالة والتقليد في هذا الجانب.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة ومدخل ومبحثين وخاتمة.

- المقدمة: تحدثت فيها عن أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وإشكالية البحث،

- وأهم الدراسات السابقة، ومنهجية البحث، ومنهج البحث وخطته.
- المدخل: في مفهوم الصدقة لغة واصطلاحاً.
 - المبحث الأول: الصدقة في رؤية أرسطو. ويشتمل على مطلبين:
المطلب الأول: ماهية الصدقة وأهميتها عند أرسطو.
المطلب الثاني: أنواع الصدقة وشروطها ومعوقاتها عند أرسطو.
 - المبحث الثاني: الصلحة عند أبي حامد الغزالي، ويشتمل على مطلبين:
المطلب الأول: مفهوم الصلحة وأقسامها عند الغزالي.
المطلب الثاني: شروط الصلحة وحقوق الأصحاب عند الغزالي.
 - الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث.
 - وأخراً: فهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.



مدخل: في مفهوم الصداقة لغة واصطلاحاً

أولاً: مفهوم الصداقة في كتب اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: « الصداقة والمصادقة المخاللة، وصدقه النصيحة والإخاء: أمحضه له، وصادقته مصادقة وصادقاً: خالته، والاسم: الصداقة، وتصادقا في الحديث وفي المودة، والصديق: المصادق لك، والجمع: صدقاء وصدقان وأصدقاء وأصادق »^(١).

وجاء في مجمع الفروق اللغوية: « الصداقة: مأخوذة من الشيء الصدق، وهو الصلب القوي، والصداقة: اتفاق الضمائر على المودة، فإذا أضر كل واحدٍ من الرجلين مودة صاحبه فصار باطنه فيه كظاهرة سُميا صديقان »^(٢).

وجاء في المعجم الوسيط: « صادقه مصادقة وصادقاً: اتخذته صديقاً، وتصادقاً تصاحباً وتواداً، والصداقة: علاقة مودة ومحبة بين الأصدقاء »^(٣).

ومن خلال ما جاء في المعاجم وكتب اللغة عن معنى الصداقة، لوحظ اتفاقها على أن الصداقة هي: صدقٌ في القول والنصح والعمل بين شخصين أو أكثر تقوم بينهما علاقة مودة، ويرادفها كلمة الصحبة، كما جاء في المعجم الوسيط.

(١) لسان العرب. تأليف: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري ج ١٠ ص ١٩٤- دار صادر - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٣٢هـ.

(٢) معجم الفروق اللغوية. تأليف: أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى العسكري ص ٣١١، المحقق: الشيخ بيت الله بيّات، ومؤسسة النشر الإسلامي. الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ « قم » طبعة ١ / ١٤١٢هـ.

(٣) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ص ٥١٠، ٥١١. الناشر: مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٤م.

ثانياً: الصدّاقة في الاصطلاح الفلسفي والاجتماعي:

هناك ترابط واتساق واتفاق بين المعنى اللغوي للصدّاقة والمعنى الاصطلاحي، يوضح ذلك ما ذكره صاحب المعجم الفلسفي أن « الصدّاقة: علاقة عطف ومودة بين الأشخاص، تقوم على الاختيار والتفضيل، منشؤها التعاطف والمشاركة في الميول، وأساسها المساواة، تقومها الألفة والمخالطة »^(١).

ويؤكد هذا المعنى صاحب موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية الذي عرف الصدّاقة ببعض أوصافها ومقتضياتها حيث قال: « أما الصدّاقة: فهي محبة صادقة يهتم معها بجميع أسباب الصديق، وإيثار فعل الخيرات التي يمكن فعلها به »^(٢).

ومن خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن الصدّاقة: علاقة اجتماعية أساسها المودة والمحبة، وتقومها المشاركة الوجدانية والتعاون في السراء والضراء. يختارها الإنسان بمحض اختياره وإرادته.

(١) المعجم الفلسفي. تأليف: جميل صليبا ج ١ ص ٧٢٢ - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨٢ م.

(٢) موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي. تأليف د/ سميح دغيم ص ٦٣٨ - مكتبة لبنان - ناشرون - بيروت - الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.

المبحث الأول الصدّاقة في رؤية أرسطو

ويشتمل على مطلبين

- المطلب الأول: ماهية الصداقة وأهميتها عند أرسطو.
- المطلب الثاني: أنواع الصداقة وشروطها ومعوقاتهما عند أرسطو.

المطلب الأول

ماهية الصداقة وأهميتها عند أرسطو^(١)

يعتبر أرسطو من ألمع فلاسفة اليونان وأشدهم تأثيراً في تاريخ الفلسفة على الإطلاق، الأمر الذي جعل بعض الباحثين يصفه بأنه « أعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني »^(٢).

(١) أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) هو أرسطو بن نيقوماخوس، ولد ببلدة سطايفيرا شمالي اليونان، وتوفي أبوه وهو حدث، وفي السابعة عشرة رحل إلى أثينا تلميذاً بأكاديمية أفلاطون نحو (٣٦٧ ق م)، ولفت إليه نظر أستاذه فلغبه العقل لشدة ذكائه والقراء لسعة اطلاعه، وقضى بالأكاديمية نحو عشرين سنة حتى وفاة أستاذه، وبعدها رحل إلى أفسوس في آسيا الصغرى، وفي نحو ٣٢٥ ق م عاد إلى أثينا بمساعدة صديقه وتلميذه نيوفراسطوس أنشأ مدرسته الشهيرة في منطقة الملعب الرياضي وسميت هذه المدرسة باسم مدرسة المشائين لأنه كان يلقى محاضراته وهو يمشى وسطهم، ولأرسطو مؤلفات عديدة ذكر بطليموس الغريب منها عناوين اثنتين وثمانين مؤلفاً تتألف من ٥٥٠ مقالة.

ينظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة. د / عبد المنعم الحفني ج ١ ص ١٢٢، الناشر: مكتبة مدبولي - الطبعة الثالثة ٢٠١٠م. وأيضاً: موسوعة الفلسفة د / عبد الرحمن بدوي ج ١ ص ٩٨ - ١٠٠ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
(٢) معجم الفلاسفة. إعداد: جورج طرابيش ص ٥٢ - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.

ويرجع ذلك إلى عقليته الموسوعية التي جعلته يدلي بدلوه في الكثير من المعارف « فقد كان واسع المعرفة بفروع العلم المختلفة، حتى لا يكاد يوجد فرع لم يسترّع انتباهه »^(١).

ولذا كان أرسطو ملماً بأصناف متنوعة من الفلسفات ومنها الفلسفة الإلهية والطبيعية، والفلسفة السياسية، وكذا الفلسفة الأخلاقية، وله في كل صنف منها مؤلفات عديدة، إلا أن من الآثار العظيمة التي لا تتكرر أثره في فلسفة الأخلاق، حيث خصص لها قسطاً كبيراً من اهتمامه، فألف فيها مؤلفات عديدة، لكن أهمها على الإطلاق كتاب (علم الأخلاق إلى نيقوماخوس)، أهداه إلى ابنه، والكتاب صحيح النسبة إلى أرسطو وفيه يتحدث عن الأخلاق والفضائل^(٢)، وسبب تسمية الكتاب بهذا الاسم كما ذكر عبد الرحمن بدوي « إما لأن أرسطو أهداه إلى ابنه نيقوماخوس، أو لأن نيقوماخوس هذا نشره بعد وفاة أبيه وهو مذكور في وصية أبيه »^(٣).

وهذا الكتاب كما ذكرت من أهم الكتب التي وضعها أرسطو في فلسفة الأخلاق، ولذا قال عنه جورج طرابيشي أنه: « بكل ما في الكلمة من معنى رائعة من الروائع »^(٤). ووصفه الدكتور بدوي بأنه « أهم كتبه وأكملها وأوضحها وأنضجها »^(٥). ونظراً لأهمية هذا الكتاب وقيّمته العالية بين مؤلفات أرسطو،

(١) قصة الفلسفة اليونانية. تصنيف: أحمد أمين، وزكي نجيب محمود ص ٢١٦، الطبعة الثانية - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٥م.

(٢) موسوعة الفلسفة. د / عبد الرحمن بدوي ج ١ ص ١٠٠.

(٣) الأخلاق. تأليف: أرسطو، ترجمة: إسحاق بن حنين، تصدير د / عبد الرحمن بدوي ص ٣. الناشر: وكالة المطبوعات - الكويت - الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

(٤) معجم الفلاسفة. جورج طرابيشي ص ٥٥، مرجع سابق.

(٥) الأخلاق. تأليف: أرسطو، تصدير الدكتور / عبد الرحمن بدوي للكتاب ص ٤.

بالإضافة إلى تخصيصه جزءاً لا يستهان به من الكتاب للحديث عن الصداقة، سيكون هو المرجع الرئيس في الكشف عن رؤيته للصداقة.

أولاً: ماهية الصداقة عند أرسطو:

تعد الصداقة عند أرسطو فضيلة من الفضائل المهمة، حيث يقول: « الصداقة هي ضربٌ من الفضيلة »^(١).

وطالما ربط الصداقة بالفضيلة واعتبرها ضرباً من ضرورها، ولهذا لا بد من توضيح مفهوم الفضيلة في رأيه، ومن خلالها يتبين لنا ماهية الصداقة. جوهر الفضيلة في رأي أرسطو هو « الوسط » حيث إن « الفضيلة عنده في الوسط وهو الاعتدال، ونشأت من هنا نظريته المعروفة بنظرية الأوساط أي أن كل فضيلة وسط بين رذيلتين »^(٢).

ومن هنا طبق أرسطو هذا المبدأ على الصداقة فقال: « أما الوسط الذي يتعلق بملاءمة الحياة العادية، فالرجل الذي يعرف أن يكون مقبولاً عند أمثاله، كما ينبغي أن يكون هو الصديق، والوسط الذي يوجد هذا الخلق هو الصداقة »^(٣). فأرسطو ربط بين مبدأ الوسطية والصداقة، فخرج من هذا الربط بأن الصداقة هي وسطٌ بين قبول الناس ورفضهم للشخص المراد صداقته. ومع ربط أرسطو الصداقة بمبدأ الوسط، نجد أنه قد ربطها بالاستعداد النفسي لدى الغير لقبول الشخص المراد صداقته، فمن كان مقبولاً عند أمثاله وأكفائه من الناس هو الذي

(١) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس. تأليف: أرسطو طاليس ج ٢ ص ٢١٩، ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية: بارثلميسانتيلير- نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد - مطبعة دار الكتاب المصرية ١٩٢٤م.

(٢) قصة الفلسفة اليونانية. أحمد أمين، وزكي نجيب محمود ص ٢٥٣، مرجع سابق.

(٣) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ١ ص ٢٥٥.

تصلح صداقته، وأما الذي ينفر منه الناس فلا ينبغي أن يصادق. كذلك فإن الشخص الذي يحاول تحسين خلقه وتجميل صورته تكلفاً منه وتصنعاً حتى يحظى بالرضا والقبول بين الناس، لا تصلح صداقته ولا يسمى صديقاً، من وجهة نظر أرسطو، وإنما يسمى (مسايراً)، وكذا الذي يفعل ذلك لنيل منفعة شخصية يسمى (متملقاً).

يقول أرسطو: « أما ذلك الذي يسعى دائماً إلى الإرضاء إذا لم يقصد إلا أن يكون مقبولاً، وبدون أن يكون له سبب آخر فإنه يسمى المسابير، لكنه إذا سلك كذلك لتعود عليه منفعة شخصية، كما إذا قصد بذلك الإثراء أو الحصول على الأشياء التي تسببها الثروة، فذلك هو المتملق »^(١).

وهناك صنف آخر من الناس لا يكثرث بقبول الناس له أو رضاهم عنه، ولا يعيره أدنى اهتمام، وهذا الصنف سماه أرسطو بالشرس والصعب في المعيشة. **يقول:** « والذي هو في هذا الصدد يَأثم تماماً بالتفريط، ولا يعرف التيه أن يكون مقبولاً في أي شيء فهو الشرس والصعب في المعيشة »^(٢).

وهذان الصنفان من الناس مذمومان عنده، ولهذا فإنه يلقي باللائمة عليهما حيث « يرى من غير حاجة إلى بيان أن هذين الوضعين المتقابلين كلاهما باللوم جدير، وأنه لا شيء ممدوح إلا الوضع الوسط الذي يحمل المرء على أن يُقبل أو يرفض كما ينبغي من الناس أو الأشياء ما ينبغي قبوله أو رفضه، فإن هذا الوضع الحكيم لم يسم باسم خاص، ولكنه يشبه الصداقة كثيراً »^(٣).

وفي إطار تحديده لماهية الصداقة، اعتبر أرسطو أن الصديق الحق لا بد وأن

(١) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٤١.

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٩.

يكون فيه ميؤأفةً إلى التعاون مع الناس لا بهدف الحصول على منفعة شخصية أو الوصول إلى مصلحة فردية، وإنما يفعل ذلك بنية خالصة ومحبة متجردة للناس، ولذا فهو يفعل ذلك مع من يعرف ومن لا يعرف.

يقول أرسطو في كتابه (علم الأخلاق إلى نيقوماخوس): « بحيث نكون مستعدين إلى أن نسميه صديقاً حقاً، إذا جمع إلى معروفه شعوراً بالميل لنا، ولكنه يخالف الصداقة في أن قلب ذلك الإنسان لا يشعر بعاطفة البتة، وأنه ليس مرتبطاً جد الارتباط بأولئك الذين يلتقي بهم لأنه ليس يحب ولا لبغض يصطنع الأشياء كما ينبغي، بل لأنه هكذا خلق، ذلك حقٌّ إلا أنه يلزم دائماً هذا الخلق عينه مع من لا يعرفهم ومع من يعرفهم »^(١).

ويندرج تحت ماهية الصداقة أيضاً من وجهة نظر أرسطو المشاركة الوجدانية والعطف المتبادل من كلا الصديقين، حيث قال: « إن العطف متى كان متبادلاً يجب أن يعتبر كالصداقة »^(٢).

يتلخص من هذا أن ماهية الصداقة عند أرسطو: عبارة عن ضرب من الفضيلة محدودةٌ بحد الوسط بين الإفراط وهو القبول المفرط من الناس، أو التفريط وهو الرفض المطلق منهم.

وأساسها: محبة خالصة متجردة وعطفٌ متبادل بين الأصدقاء يدفعهم إلى التعاون فيما بينهم بلا مأرب شخصي أو منفعة دنيئة.

تعقيب

على الرغم من واقعية أرسطو في تحديده لماهية الصداقة - كما نقلت عنه - إلا أنه يؤخذ عليه ربطه بين الصداقة ومبدأ الوسط الذي هو جوهر الفضائل

(١) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٤٠.

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٤١.

عنده.

والحقيقة أن مبدأ الوسط عند أرسطو طالته سهام النقد، باعتبار أن كثيراً من الفضائل لا يمكن تحديدها بحدود مبدأ الوسط الذي تبناه أرسطو « فبعض الفضائل يكون أقرب إلى الإفراط، وبعضها يكون أقرب إلى التفريط، فالشجاعة مثلاً أقرب إلى التهور منها إلى الجبن، والعفة أقرب إلى جمود الشهوة منها إلى اشتغالها، والكرم أقرب إلى الإسراف منه إلى التقدير »^(١). كما أنه يصعب تطبيق هذا المبدأ بالمفهوم الذي أراده أرسطو نظراً لنسبية هذا المبدأ وتغيره من شخص لآخر، وبالإضافة إلى ذلك فهناك صعوبة أخرى في تطبيق مبدأ الوسطية عند أرسطو، وهي: « كيف أعرف هذا الوسط؟ ما المقياس الذي يحكم به؟ ».

الإجابة على هذا عسيرة، فليست المسألة مسألة خط مرسوم أقيسة لمعرفة وسطه، وليست هناك قاعدة واضحة أستطيع بها أن أعرف ذلك والحكم فيها بتوقيف على الظروف المحيطة بالشخص وعلى الشخص نفسه فما هو نقطة الوسط في حالة ليس كذلك في حالة أخرى »^(٢).

وتبعاً لهذا فإن تحديد أرسطو لماهية الصداقة بأنها وسط بين رذيلتين القبول والرفض قد لا يكون دقيقاً بعض الشيء مع الوضع في الاعتبار واقعية الموصفات والمتطلبات التي حددها للصدّاقة.

(١) تاريخ الفكر الفلسفي (أرسطو والمدارس المتأخرة) تأليف د / محمد علي أبو ريان ج ٢

ص ٢٢٣ - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - الطبعة الثالثة ١٩٧٢م.

(٢) قصة الفلسفة اليونانية. تأليف: أحمد أمين، وزكي نجيب محمود ص ٢٥٣.

ثانياً: أهمية الصداقة في رأي أرسطو.

الصداقة قيمة من القيم الأخلاقية المجتمعية العليا، ولذا « عنى أرسطو عناية خاصة بها، حيث كان يرى لها أهميتها البالغة في الحياة الإنسانية »^(١). فقد عدها أرسطو « إحدى الحاجات الأشد ضرورة للحياة، لأنه لا أحد يقبل أن يعيش بلا أصدقاء ولو كان له مع ذلك كل الخيرات، وكلما كان الإنسان أكثر غنى وعز سلطانه وعظم جاهه شعر على ما يظهر بالحاجة إلى أن يكون له أصدقاء حوله»^(٢).

فالصداقة من وجهة نظر أرسطو « إحدى الفضائل التي لا يستغني عنها أحد»^(٣).

وقد عد أرسطو فوائد الصداقة وأهميتها بالنسبة للفرد سواء أكان شاباً أم شيخاً فقال: « الأصدقاء هم الملاذ الوحيد الذي يمكننا الاعتصام به في البؤس والشدائد المختلفة الأنواع، فحينما نكون شباناً نطلب الصداقة أن تعصمنا من الزلات بنصائحها، وحينما نصير شيوخاً نطلب إليها عناياتها ومساعدتها التي تقوم مقام نشاطنا »^(٤).

بالإضافة إلى أنه يعتبر الصداقة شيئاً فطرياً في الإنسان يحكم ميله إلى الاجتماع والتعامل مع الآخر، حيث يقول: « أضف إلى هذا أن قانون الطبع

(١) الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها. تأليف د/ أميرة حلمي مطر ص ٣٢٣ - دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٨م.

(٢) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس. تأليف: أرسطو ج ٢ ص ٢١٩.

(٣) تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين. تأليف: غنار سكيريك ونلز غيلجي، ترجمة حيدر إسماعيل ص ١٨٦، مراجعة: نجوى نصر - المنظمة العربية للترجمة - الطبعة الأولى - بيروت ٢٠١٢م.

(٤) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٢٠.

يقضي بأن الحب يظهر أنه إحساس فطري في قلب الكائن الذي يلد نحو الكائن الذي ولده»^(١).

هذا عن أهمية الصداقة بالنسبة للفرد كما رأى أرسطو.

أما عن أهميتها بالنسبة للدول والمجتمعات والتي سماها أرسطو الممالك فيوضح ذلك بقوله: «يمكن الذهاب إلى حد القول بأن الصداقة هي رابطة الممالك، وأن الشارعين يشتغلون بها أكثر من اشتغالهم بالعدل نفسه»^(٢).

فالصداقة هي الرابطة التي تربط أفراد المجتمعات (الممالك) بعضهم مع بعض، ولذا كان اهتمام المشرعين وواضعي القوانين بها اهتماماً بالغاً، وذلك «لأن الانسجام بين الأهالي أشبه بالصداقة والمحبة، وهو ما تسعى إليه وتريده القوانين»^(٣).

ولأن أرسطو «اعتبر أن أنبل الأمور التي تساعد في الوصول إلى السعادة هي الصداقة»^(٤)، فقد رأى أنه بالإمكان الاستغناء عن تطبيق العدل إذا شاعت الصداقة الحقّة بين الناس، وهو يؤكد ذلك بقوله: «متى أحب الناس بعضهم بعضاً لم تعد حاجة إلى العدل، غير أنهم مهما عدلوا فإنهم لا غنى لهم عن الصداقة»^(٥).

فالصداقة في رأي أرسطو لها أهميتها في جعل الممالك والمجتمعات كلها

(١) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢١.

(٣) فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه. تأليف د / ناجي التكريتي ص ١٤٠ - دار دجلة - عمان - الأردن ٢٠١٢م.

(٤) قصة الفلسفة. تأليف: ول ديورانت ص ٨٩، ترجمة د / فتح الله المشعش - مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٩٨م.

(٥) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٢١.

وحدة واحدة لا يحدث بين أفرادها شقاق؛ مما يكون له الأثر العظيم في استقراره وإذا لم يكن هناك صداقة حقيقية في المجتمع كان هذا المجتمع عرضة للخلافات التي تمزق أركانه، ومن هنا كانت في رأيه « أكثر أهمية من العدالة إذ لا حاجة للعدالة عندما يكون الناس أصدقاء، ولكن عندما يكون الناس عادلين مقسطين تبقى الصداقة نعمة وفضلاً » (١).



(١) قصة الفلسفة. ول ديورانت ص ٨٩.

المطلب الثاني

أنواع الصداقة وشروطها ومقوماتها عند أرسطو

أولاً: أنواع الصداقة:

قسم أرسطو الصداقة إلى ثلاثة أنواع تبعاً لبواعث المحبة بين الأشخاص ودوافعها.

فمن وجهة نظره لا تخرج دوافع المحبة عن ثلاثة أمور حددها بقوله:

« بدهى أن كل شيء لا يمكن أن يكون محبوباً، فإن الإنسان لا يحب إلا الشيء القابل لأن يُحب أي الخير أو الملائم أو النافع »^(١).

ولذا كانت دوافع المحبة عنده هي: الخير واللذة والمنفعة « وعلى هذا يوجد

ثلاثة أنواع من الصداقة تقابل في العدد الأسباب الثلاثة للمحبة »^(٢).

أما النوع الأول: وهو صداقة الخير أو الفضيلة. فيقول عنه أرسطو: « الناس

المتحابون يريدون الخير بعضهم لبعض في نفس معنى السبب الذي هم به

متحابون »^(٣)، أي أنهم لا يحبون بعضهم بعضاً إلا من أجل الخير ونيل

الفضيلة، وتبعاً لهذا تكون صداقتهم متجردة وخالية من أي غرض شخصي سوى

إرادة الخير.

والنوع الثاني: وهو صداقة المنفعة، فقد وضحه أرسطو بقوله: « مثال ذلك

الناس الذين يحب بعضهم بعضاً للفائدة التي تكون عند كل منهم للآخر، فهم

يتحابون لا لذواتهم بالضبط، ولكن من جهة أنهم يصيبون خيراً وكسباً ما من

(١) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٢٤.

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٢٧.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

علاقتهم المتبادلة»^(١).

فهذه الصداقة لم تقم على أساس المحبة الخالصة المتجردة لذات الشخص، ولكن كان الهدف منها كسب مصلحة وتحقيق منفعة.

والنوع الثالث الصداقة من أجل اللذة، وهو لا يختلف كثيرا عن النوع الثاني عند أرسطو؛ حيث قال عنه: « والأمر كذلك أيضاً في حال أولئك الذين لا يتحابون إلا للذة فإذا أحبوا الناس أولى الأخلاق السهلة أيضاً، فما ذلك بسبب خلق هؤلاء الناس نفسه، بل لأجل اللذات التي يجلبها لهم هؤلاء الأشخاص ليس غير »^(٢).

ولهذا كانت هذه الصداقة أيضاً ليست قائمة على المحبة الخالصة بين الأصدقاء، وإنما من أجل الحصول على لذة من اللذات.

وهذان النوعان الأخيران وصفهما أرسطو بالصداقات العرضية التي سرعان ما تنقطع أو اصرهما عندما تنتهي أغراضها، ويتحقق الهدف المرجو منها؛ حيث يقول: « إن الصداقات من هذا النوع ينقطع بغاية السهولة؛ لأن هؤلاء الذين يزعمون أنفسهم أصدقاء لا يلبثون طويلاً مشابهين لأنفسهم، ومتى صار هؤلاء الأصدقاء لا نافعين ولا ملائمين انقطع حبهم حالاً، إن النافع أو المفيد لا ثبات له، بل هو يتغير من لحظة إلى أخرى على أتم وجه »^(٣)، « فصداقة اللذة تتعقد بسهولة وتتحل بسهولة بعد إشباع اللذة أو تغير طبيعتها »^(٤).

وهذا النوع من الصداقات أشار أرسطو إلى أنه يكثر عند الشباب، باعتبار

(١) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٢٧.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٢٨.

(٤) الصداقة من منظور علم النفس. تأليف د / أسامة سعد أبو سريع ص ١٥ - سلسلة عالم

المعرفة - عدد ١٧٩ لسنة ١٩٩٣ م.

أنهم تحكّمهم الشهوة حسبما قال: « اللذة وحدها يظهر أنها هي التي توحى صداقات الفتيان، فإنهم لا يعيشون إلا في الشهوة »^(١).

بينما أشار إلى أن صداقة المنفعة يميل إلى تطبيقها الشيوخ والعجائز من الناس، وعلل هذا بقوله: « فإن الشيخوخة لا تطلب بعد ما هو ملائم، بل تطلب ما هو نافع ليس غير »^(٢).

وبعد أن أوضح أرسطو سلبيات صداقتي المنفعة واللذة أكد على أن: « صداقة الفضيلة هي أفضل صداقة، وتقوم على تشابه الفضيلة، وهي أكثر دواماً »^(٣) وأتمها وأعلاها درجة، لأنها لا تهدف إلى تحقيق مصلحة شخصية أو منفعة فردية أو لذة عاجلة.

ويؤكد أرسطو هذا بقوله: « الصداقة الكاملة هي صداقة الناس الذين هم فضلاء والذين يتشابهون بفضيلتهم؛ لأن أولئك الذين يريدون الخير بعضهم لبعض من جهة أنهم أختيار، وأزيد أنهم أختيار بأنفسهم، أولئك الذين لا يريدون الخير لأصدقائهم إلا لهذه الأسباب الشريفة هم الأصدقاء حقاً »^(٤).

من هنا « فرق بين الصداقة الحقة والصداقة المزيفة، فالصداقة الحقة هي التي تقوم بين الأفراد المتساوين في الفضيلة الذين يجمعهم حب الخير، أما الصداقة المزيفة فهي التي تقوم على أسس خاطئة كصداقة المنفعة أو اللذة »^(٥). تلك كانت نظرة أرسطو إلى أنواع الصداقة.

والواقع أن أرسطو كان واقعياً باعتبار مخالطته لصنوف كثيرة من أفراد الشعب

(١) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٢٩.

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٢٨.

(٣) الصداقة من منظور علم النفس. د / أسامة سعد أبو سريع ص ١٥.

(٤) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٣٠.

(٥) الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها. د / أميرة حلمي مطر ص ٣٢٣.

الأثيني.

لكن قد يكون جانبه الصواب في نسبة النوع الثاني من الصداقة وهو صداقة المنفعة إلى الشيوخ والعجائز، حيث إنهم على العكس قد يكون تقدمهم في السن وإحرازهم لمتع ومنافع كثيرة في مراحل سابقة من أعمارهم سبباً في إشباعهم بالمنافع، ومن ثم فلا رغبة لهم في إحراز المنافع والفوائد في صداقاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

أما بالنسبة للنوع الثالث وهو صداقة اللذة فيبدو أن أرسطو قد نسبه إلى الشباب بسبب شيوع المثلية الجنسية في الشعب الأثيني في ذلك الوقت، مما حداه إلى نسبة هذا النوع من الصداقة إليهم.

ثانياً: شروط الصداقة عند أرسطو.

حتى تكون الصداقة ناجحة ودائمة غير منقطعة لا بد أن تتحقق بعدة شروط. يقول أرسطو: « إن صداقة من هذا القبيل يقصد الصداقة الفاضلة أو التي ليست لغرض اللذة أو المنفعة - باقية كما يمكن أن يفهم بسهولة، مادام أنها مستوفية كل الشروط التي يجب أن توجد بين الأصدقاء الحقيقيين»^(١). وقد ألمح أرسطو إلى هذه الشروط وذكر مميزات كل شرط منها على النحو التالي:

الشرط الأول: المساواة.

حيث « يرى أرسطو أن الصداقة تقوم في الأساس على المساواة في المكانة الاجتماعية؛ حيث يتبادل الأصدقاء الخدمات ذاتها، أو يتعاضون مزية بأخرى »^(٢).

(١) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٣٠.

(٢) الصداقة من منظور علم النفس. تأليف د / أسامه سعد أبو سريع ص ١٦.

يقول أرسطو: « فالصدّاقات التي تكلمنا عليها آنفاً مؤسسة على المساواة، فإن كلا الصديقين يؤدي إلى الآخر الخدمات ذاتها، وإن كليهما يضمّر للآخر المقاصد بعينها أو على الأقلّ أنهما يتعاوضان مزية بأخرى»^(١).

والمساواة التي يقصدها أرسطو هي المساواة في إرادة المحبة والخير كل واحد منهما لصاحبه، وكذا المساواة في المكانة الاجتماعية « فالرجل الفاضل عندما يحب صديقه يريد خيره، وفي الوقت نفسه يريد خير نفسه، وهكذا يكون الخير متبادلاً بالمساواة بين الصديقين من حيث إن كلا منهما يهدف إلى خير صديقه في الوقت نفسه الذي يهدف إلى خير نفسه، وهكذا يتحقق التوازن بين الأصدقاء»^(٢).

ومهما تنوعت أهداف الصداقة واختلفت أسبابها وغاياتها تظل المساواة والمماثلة شرطاً لا يمكن الاستغناء عنه للصداقة في نظر أرسطو، حتى لا يكون لأي من الأصدقاء منةٌ على الآخر، ولهذا يقول أرسطو: « ويمكن أن يشاهد أيضاً شيء مشابه لهذا بالنسبة للملوك، فإن الإنسان هو أنزل منهم في أمر الثروة إلى حد أنه لا يستطيع حتى أن يكون صديقهم، كما أن الناس الذين ليس لهم مكانة لا يفكرون في إمكان صيرورتهم أصدقاء للرجال الأعلى والأحكمين»^(٣).

فهو بهذا يحكم باستحالة عدم إمكان حدوث صداقة بين شخصين غير متكافئين أو متساويين، وذلك « لأن الامتتان يكسوها قلباً وتلوناً»^(٤).

وأرسطو يربط هذا الشرط بشرط آخر ضروري للصداقة وهو:

(١) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٤٢.

(٢) فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكويه. ناجي التكريتي ص ١٤٦ - مرجع سابق.

(٣) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٤٥.

(٤) قصة الفلسفة. ول ديورانت ص ٨٩.

الشرط الثاني: أهلية الأشخاص للصدقة.

ويقول أرسطو عن هذا الشرط: « لاشك أن الناس يريدون بأمثال هذه الصداقات السريعة أن يكونوا أصدقاء، ولكنهم لا يكونونهم ولن يكونوهم حقاً إلا بشرط أن يكونوا أهلاً للصدقة »^(١).

والأهلية للصدقة عند أرسطو يدخل فيها كل المعاني السابقة التي أدرجها أرسطو في الصداقة الحقة، من الحب وإرادة الخير المتبادلة والمماثلة والتكافؤ. ويربط بهذا الشرط شرطاً ثالثاً وهو: الثقة المتبادلة بين الصديقين.

ويقول أرسطو عن هذا الشرط: « لا يمكن للصديقين أن يقبل كلاهما الآخر، أي لا يمكن أن يكونا صديقين قبل أن يظهر كلاهما أنه حقيق بالمحبة، وقبل أن يتقرر في نفسيهما الثقة المتبادلة »^(٢).

والثقة المتبادلة تعني: أن يثق كل واحدٍ من الأصدقاء بصاحبه، فلا يفشي له عيباً ولا يبخل عليه بنصح، وفي النوائب والملزمات يكون المأوى له. فتزداد الصداقة قوة ومتانة، أما فقدان الثقة بين الأصدقاء يدمر الصداقة ولا يُبقي لها أثراً. ولهذا اشترط أرسطو هذا الشرط.

الشرط الرابع من شروط الصداقة عند أرسطو: الزمان والعادة.

ويقصد بهما: مخالطة الأصدقاء بعضهم لبعض زمناً حتى تتوطد بينهم أواصر الصداقة وتصبح عاداتهم متقاربة مألوفة، حيث « ينبه أرسطو إلى أن الصداقة الحقة لا تتكون بسرعةٍ أبداً، ولا تكتمل إلا على مدى الزمن »^(٣). وقد أوضح ذلك بقوله: « لعقد هذه العلاقات يلزم زيادةً على ذلك الزمان

(١) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ج ٢ ص ٢٣١.

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٣) الصداقة من منظور علم النفس. د / أسامه أبو سريع ص ١٥.